

## نبذة عن الحياة الاجتماعية والثقافية في العصر العباسي

يعد عام ١٣٢ للهجرة نقطة تحول كبير في تاريخ الخلافة الإسلامية، إذ انتقل الحكم من بني أمية إلى بني العباس وأصبحت بغداد حاضرة الدولة، وقد قضى العباسيون على سلالة بني أمية الحاكمة وطاروا أبناءها حتى قضوا على أغلبهم، ولم ينج منهم إلا من لجأ إلى الأندلس، وكان من ضمنهم (عبدالرحمن بن معاوية بن هشام)، فاستولى على الأندلس، وبقيت في عهده لسنة ١٠٢٩م.

تأسست الدولة العباسية على يد المتحدرين من سلالة أصغر أعمام النبي (عليه الصلاة والسلام)، ألا وهو العباس بن عبدالمطلب، بدأ حكمهم بأبي العباس السفاح.

نقل العباسيون عاصمة الدولة، بعد نجاح ثورتهم، من دمشق إلى الكوفة، ثم إلى الأنبار، قبل أن يقوموا ببناء مدينة بغداد لتكون عاصمة الخلافة الإسلامية، والتي ازدهرت طيلة قرنين من الزمن، وأصبحت إحدى أكبر مدن العالم وأجملها وحاضرة العلوم والفنون، ولكن نجمها أخذ بالأفول مع بداية غروب شمس الدولة العباسية ككل.

وقد تنوعت الأسباب التي أدت إلى انهيار الدولة العباسية، ومن أبرزها :

- ١- بروز حركات شعبية ودينية مختلفة، مما أدى إلى تفضيل العرب على غير العرب.
- ٢- بروز فرق سياسية كثيرة عارضت الحكم العباسي، وكان محور الخلاف بين هذا الفريق وبين الحكام العباسيين هو الخلافة أو إمامة المسلمين
- ٣- وأيضاً من العوامل الداخلية التي شجعت على انتشار الحركات الانفصالية اتساع رقعة الدولة العباسية، ذلك أن بعد المسافة بين أجزاء الدولة وصعوبة المواصلات في ذلك الزمن، ومن أبرز الحركات الانفصالية (حركة الأدارسة، وحركة الأغالبة، والحركة الفاطمية).

انتهى الحكم العباسي في بغداد سنة ١٢٥٨م، عندما أقدم هولاكو خان التتري على نهب وحرق المدينة. وقُتل أغلب سكان المدينة بما فيهم الخليفة وأبنائه. وانتقل من بقي على قيد الحياة من بني العباس إلى القاهرة بعد تدمير بغداد، حيث أقاموا الخلافة مجدداً سنة ١٢٦١م، حيث أصبح الخليفة مجرد رمز لوحدة الدولة الإسلامية دينياً، أما في الواقع فإن سلاطين المماليك المصريين كانوا هم الحكام الفعليين للدولة.

واستمرت هذه الخلافة الرمزية حتى سنة ١٥١٩م، عندما اجتاحت الجيوش العثمانية بلاد الشام ومصر وفتحت مدنها وقلاعها، فتنازل آخر الخلفاء عن لقبه لسلطان آل عثمان (سليم الأول).

فأصبح العثمانيون خلفاء المسلمين ونقلوا مركز العاصمة من القاهرة إلى القسطنطينية.

وقد قسمت مدة الخلافة على ثلاثة عصور رئيسة هي :

- ١- العصر العباسي الأول (١٣٢هـ - ٢٣٢هـ)
- ٢- العصر العباسي الثاني (٢٣٢هـ - ٥٩٠هـ)
- ٣- العصر العباسي الثالث (٥٩٠هـ - ٦٥٦هـ)

## الحياة الأدبية والعلمية في العصر العباسي

الأدب العربي في هذا العصر لم يكن بمعزل عن التغييرات الكبيرة التي حصلت في جميع نواحي الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية والدينية أيضاً.

فقد أدى توسع رقعة الدولة الإسلامية إلى امتزاج شعوب مختلفة وثقافات متعددة تحت لواء الدولة الإسلامية، فإلى جانب العرب كانت هناك أقوام وأمم أخرى كالفرس والروم والهنود وغيرهم، وكانت لهذه الشعوب ثقافتها وحضاراتها التي تفاعلت مع الحضارة العربية وانصهرت فيها، مما كان له أثر واضح في نشوء ثقافة أدبية غنية متنوعة مزدهرة.

كانت اللغة العربية في الدولة العباسية هي اللغة الرسمية التي استوعبت سائر هذه الثقافات، فكان لزاماً على أبناء الأمم التي دخلت في الدين الإسلامي أن تعرف هذه اللغة، وخاصة إذا أراد العمل في مؤسسات ودواوين هذه الدولة.

ونتيجة لهذا المزج الثقافي والحضاري أصبحت اللغة العربية غنية بمفردات جديدة واتسع معجمها اللغوي والدلالي مايناسب التغييرات الكبيرة التي طرأت على الدولة الإسلامية عصرئذٍ.

ووضع علماء اللغة مع توسع العلوم، أصولاً كثيرة لهذه العلوم، مثل علوم اللغة، والنحو، والعروض، وظهرت كذلك بوادر لعلوم جديدة لم تكن معروفة قبل ذلك، كأصول علم التاريخ، والبلاغة، والمعاجم، والجغرافيا، والفلك وغيرها من العلوم. وظهرت تفاسير القرآن الكريم، وكذلك جمعت الأحاديث النبوية الشريفة في كتب الصحاح، وأيضاً توسع الفقهاء في هذا العصر في الاجتهاد الذي كان من رواده الأئمة الأربعة: أنس بن مالك، الشافعي، أبو حنيفة، أحمد بن حنبل.

وكان من مظاهر ازدهار الحركة الأدبية والعلمية في هذا العصر، انتشار المعاهد والمجالس الأدبية والعلمية وكذلك المكتبات الخاصة والعامة، ودكاكين الوراقين، وأسواق الأدب في بغداد وجميع مدن الدولة الإسلامية في الحجاز وبلاد الشام والفسطاط بمصر.

### عوامل التطور العلمي والأدبي في العصر العباسي:

١- حركة الترجمة: ظهور حركة الترجمة تعد من أقوى عوامل الاتصال بين الثقافة العربية والثقافات الأخرى، كالفارسية واليونانية والهندية.

٢- التمازج الحضاري: كان لهذا التمازج والتنوع الحضاري أثرٌ كبير في تطور العلم والأدب.

٣- انتشار المعاهد والمجالس وانتشار صناعة الورق، والرحلات العلمية، وكذلك بروز حركات فكرية كثيرة مثل المعتزلة.

### جوانب النهضة الأدبية والعلمية في العصر العباسي

يعتبر العصر العباسي الأول (١٣٢هـ - ٢٣٢هـ) أنسب العصور ملائمةً للنهضة العباسية في الأدب والعلم، فكان مثلاً للاستقرار السياسي والاقتصادي إلى حدٍ كبير مقارنة بالفترات اللاحقة.

وكانت النهضة الأدبية والعلمية في هذا العصر يتمثل في ثلاثة جوانب:

حركة التصنيف                      تنظيم العلوم الإسلامية                      الترجمة من اللغات الأجنبية

## حركة التصنيف:

تطورت العلوم الإسلامية في العصر العباسي الأول وانتقلت من مرحلة التلقين الشفوي إلى مرحلة التدوين والتوثيق في الكتب والموسوعات, ومن أشهر المصنفين في هذا العصر :

مالك بن أنس صاحب كتاب الموطأ

ابن اسحاق صاحب السيرة

أبو حنيفة الذي كان له مصنفات في الفقه والرأي

وكان أكبر الفضل في هذا التطور والنهضة الأدبية والعلمية للخليفة أبو جعفر المنصور, حيث كان يوجه العلماء في هذا الاتجاه ويحثهم عليه ويكافئ المبدعين منهم.

## تنظيم العلوم الإسلامية:

وصل العلم والأدب في العصر العباسي الأول درجة عالية من الدقة والتنظيم, فقد شهد هذا العصر ولادة علم تفسير القرآن الكريم وفصله عن علم الحديث, وكان الأئمة الأربعة ( ابو حنيفة, ومالك, والشافعي, وابن حنبل) يعيشون في هذا العصر.

وإلى جانب ذلك ظهرت مدرستان كبيرتان في الفقه الإسلامي وهما :

١- مدرسة أهل الرأي في العراق

٢- مدرسة أهل الحديث في المدينة المنورة

وفي مجال اللغة أيضاً ظهرت مدرستان نحويتان هما :

مدرسة البصرة مدرسة الكوفة

كما عاش في هذا العصر أيضاً أئمة النحاة البصريين :

• عيسى بن عمر الثقفي

• أبو عمرو بن العلاء

• الخليل بن أحمد الفراهيدي

• الأخفش

• سيبويه

• يونس بن حبيب

ومن الأئمة الكوفيين :

• أبو جعفر الرواسي

• الكسائي

• الفراء

واستقل في هذا العصر أيضاً علم السيرة عن الحديث وممن عملوا على توطيد هذا الاستقلال (محمد بن اسحاق) وكتابه السيرة خير دليل على نهجه, واختصره فيما بعد (ابن هشام) في كتابه المشهور سيرة ابن هشام .

وفي مجال تصنيف كتب التاريخ في هذا العصر كتب العلامة محمد بن عمر الواقدي :

١- كتاب التاريخ الكبير

٢- كتاب المغازي

وألّف محمد بن سعد كتاب الطبقات الكبرى

### الترجمة من اللغات الأجنبية :

عندما وضع المنصور حجر الأساس لمدينة بغداد سنة ١٤٥ هـ, جمع حوله في العاصمة الإدارية الجديدة صفوة العلماء من مختلف النواحي, وشجّع على ترجمة كتب العلوم والآداب من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية, واستجاب له الكثير من الباحثين وطلاب العلم والعلماء الكبار في الدولة, ومن أبرزهم : ابن المقفع الذي ترجم كتاب كليلة ودمنة .

ولم يكتف المسلمون بمجرد الترجمة, بل كانوا يبدعون ويضيفون إلى كل علم يترجمونه.

وقد لعب المترجمون بهذا دواراً بارزاً في خدمة الثقافة العالمية, فقد أنقذوا هذه العلوم من فناء محقق, إذ تسلموا هذه الكتب في عصور الظلام, فبعثوا فيها الحياة, وعن طريق معاهدهم وجامعاتهم وأبحاثهم وصلت هذه الدراسات إلى أوروبا, فترجمت كثيرٌ منها من اللغة العربية إلى اللاتينية, وقد كان ذلك أساساً لثقافة أوروبا الحديثة ومن أهم الأسباب التي أدت إلى النهضة الأوروبية.

وأنشئ في هذا العصر (بيت الحكمة), وهو أول مجمع علمي, ومعه مرصد ومكتبة جامعة وهيئة للترجمة. وقد وصل بيت الحكمة إلى أوج نشاطه العلمي في التصنيف والترجمة في عهد المأمون الذي ولّاه عناية فائقة ووهبه كثيراً من ماله ووقته.

وضم بيت الحكمة إلى جانب المترجمين, النساخين والخازنين الذين يتولون تخزين الكتب, والمجلدين الذين يجلدون الكتب وغيرهم من العاملين .

وكان المرصد الموجود في بيت الحكمة من أكبر المراصد الفلكية في ذلك العصر, عمل فيه أكبر علماء علماء الفلك المسلمين, وتمكنوا من خلاله تفسير ظاهرة الجاذبية, وتعيين خط العرض, وقياس طول محيط الأرض.

وظل بيت الحكمة قائماً حتى داهم المغول بغداد سنة ٦٥٦ هـ . الموافق ١٢٥٨ م .

